الحسين والأنبياء

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية
٣٨

الحُسَينُ عليه السلام والأنبياء

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية
١٤٣٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ۞ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

صدق الله العلي العظيم

المقدمة

يتكون الإنسان من مادة الطين والروح، فالطين تتمثل فيه عناصر الأرض من الأوكسجين والهيدروجين والكاربون والكالسيوم والفسفور، والروح تتمثل فيها إشراقة السماء بنورانيتها، فقد يحدث صراع ذاتي بين الطين والروح ويسعى كل منها ليستقر ويطمئن في توفير نزعاته، فتارة يتغلب الطين على الروح فتظهر في شخصية الإنسان كثافة الأرض وعتمتها، فتميل إلى توفير رغائب تطمئن لها وتسعدها وذلك باتباع الشهوات وإشباع النزوات، وأخرى يغلب عليها الروح فتظهر في شخصها شفافية السماء ونورانيتها فيحدث في أغلب الأحيان صراع داخل الذات الواحدة، بين العنصرين، فكل عنصر يحاول أن يدافع عن طبيعته، فيأتي دور السماء في دعم النشاط النوراني ودور الشيطان في دعم النشاط الظلماني ويكون تدخل السماء بإرسال الأنبياء والرسل والأئمة ويتدخل الشيطان بحزبه وجنوده في توهين ما تسعى إليه السماء، ونتيجة ذلك الصراع لا بد أن يكون النصر لإحدى الجهتين.. فيكون الإنسان إما شاكرا وإما كفورا.

القيادة الإلهية

يبرز في المجتمعات من هو أقوى في الاستنارة والهداية مقابل السيطرة على النفس الأمارة وكبح الأهواء والنزعات الشيطانية، فتجعله في مركز القيادة المؤثرة والمستقطبة بقطبيها أفراد المجتمعات والأقوام على اختلاف أجناسهم، ولما كانت هذه القوة المؤثرة لدى الأشخاص تمكنهم من تغيير المسارات الطالحة إلى صالحة سوية، وإقناع المنجذبين إليهم بالأعمال والأفعال التي تقوّم المجتمع سواءً بالكلمة أو بالفعل فكانوا بالحق.. قادة على مستوى عالٍ من الكفاءة، فتكون تلك الموهبة الشخصية التي نمّاها هذا القائد والتي جعلته يبرز وبشكل ملحوظ لدى المجتمعات، ومن هنا تتدخل السماء في بناء هذه القيادات لتكون رسلها إلى عامة البشر، فاصطفى الله منهم لمنصب النبوة لأنهم أكفأ الناس لها ولو كان في الناس أكفأ منهم لاختارهم الله، فكانوا للنبوة وكانت النبوة لهم بمقتضى حتمية التجانس بين القابل والمقبول، وليس معنى ذلك إن النبوة تضيف إلى الأنبياء شيئاً بل إن النبوة منصب إلهي لا يناله أصحاب المؤهلات إلاّ بالتنصيب، والأديان التي يؤتون بها ما هي إلاّ نظم حياتية متكاملة لم يكن باستطاعة القادة الاهتداء إليها بعقولهم لو لم تنزل عليهم من السماء، فيكون اختيارهم أنبياء من قبيل اختيار الرجل المناسب في المنصب

المناسب، قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَه﴾ [1] مؤهلين لقيادة المجتمعات، فالأنبياء لم يكونوا أفرادا عاديين أو أقل من ذلك ثم نصبهم الله تعالى جزافاً كما يتصور البعض، وكيف يتصور أن بإمكان أي فرد عادي يتلقى رسالة السماء ليحولها إلى رسالة تخترق حجب المجتمعات في جميع مجالات الحياة، لا بد أن يكون شخصا له مزايا تتناسب وثقل الرسالة الملقاة عليه، وهذا الكلام ينطبق أيضا على مقام الإمامة باعتبارها جزء من القيادة الإلهية.

إذن النبي أو الرسول أو الإمام ما هو إلا محصول إرادة ربانية جاءت عن طريق نتاج إنساني متحضر نحو الأعلى ومرتبط بالله عز وجل وكما عبر عن ذلك القرآن الكريم ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ﴾ ولما كان الأنبياء عليهم السلام من أفضل المعادن وأصفى وأنقى الأرواح وأكثر الناس استعداداً لتحمل القيادة والنبوة فعاهدهم الله تعالى برعايته حتى تكون سيرتهم النفسية والعملية صافية لا يشوبها خلل أو كدر كما قال تعالى لموسى بن عمران عليه السلام (وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي)[2].

كما إن هذه الذرية أفضت كرامتها في سيد الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وآله فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً وأعز الأرومات[3].

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٢٤.

(٢) طه - الآية - ٤١ .

(٣) جمع أرومة وهي الأصل.

مغرساً من الشجرة التي صدع[1] منها أنبياءه وانتخب منها أمناءه)[2].

ومن تلك الشجرة انتخب الله تعالى أوصياءه، فاختار القائد للأمة من بعده وعينه ونصبه على لسان رسوله ﷺ فكانوا اثني عشر خليفة أولهم علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم القائم عجل الله فرجه إلى قيام يوم الدين فكان ثالث الأوصياء الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام الذي عصم الله تعالى آباءه من الكفر وأمهاته من الدنس، وكما جاء في زيارته (أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة لم تنجسك ا لجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها..)[3].

هكذا جاء الحسين بن علي عليه السلام إلى المنصب الإلهي ليقود الأمة ويتحمل أعباء الرسالة والحفاظ عليها وصيانتها، وقد حاز الحسين عليه السلام على المواصفات والمؤهلات التي تمكنه أن يكون قائداً إلهياً كما تريد السماء ويمكن ملاحظة ذلك فيما يأتي:

١. الشموخ الوراثي الذي يمتد نوره في الأصلاب إلى نبينا آدم عليه السلام.

٢. الاستعداد الذاتي، وذلك باستكمال القيم الرفيعة، ونزاهته من جميع النقائص الروحية وا لجسدية وذلك

(١) صدع- تصد.

(٢) أنظر نهج البلاغة/د صبحي الصالح/ الخطبة ٩٤ ص١٣٩.

(٣) زيارة وارث/المروية عن الإمام الصادق عليه السلام.

لقبح قيادة المفضول للفاضل.

٣. الاختيار الإلهي للإمام عليه السلام والذي صرح به النبي صلى الله عليه وآله حيث جعله الله أباً لتسعة من أوصيائه.

٤. أثر المحيط التربوي حيث تشترك الوراثة مع المحيط في البناء التربوي حيث أن الوراثة تخلق القابلية والاستعداد للإنصاف بالصفات المطلوبة إذا توفر المحيط التربوي المناسب فتشترك مع الوراثة في خلق الشخصية وما تحمله من مبتنيات العقائد والقيم، وقد نشأ الحسين عليه السلام في ذلك المحيط التربوي المفعم بوحي السماء الذي يضم نبي الرحمة صلى الله عليه وآله ووصيه علي بن أبي طالب عليه السلام وبضعة رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة الزهراء والحسن والحسين عليهما السلام الذي أسسوا للأمة قواعد التربية الصحيحة.

الحسين ويحيى عليهما السلام:

إذا كان نبي الله يحيى عليه السلام جاء وشَرَّفَ الدنيا بدعاء أبيه النبي زكريا عليه السلام فقد جاء طلبه للولد بسبب وراثته العلم والعمل الصالح وتحمله أعباء النبوة وأرادها أن تبقى في عقبه، وكان زكريا عليه السلام قد بلغ به الكبر مرحلة متقدمة وكذا امرأته التي كانت عاقراً ثم بلغت سن اليأس الذي لا يمكنها أن تنجب،

فكان طلب زكريا النبي عليه السلام أن يكون هذا الولد ذكرا[1] ويكون مرضياً عند الله تعالى، وإن استجابة دعاء زكريا عليه السلام أن بُشر بيحيى ليكون نبياً ومرضياً ولم يسم أحد قبله بهذا الاسم أي إن اسم يحيى جاء من السماء وليكن يحيى أول اسم أطلق على ولد زكريا عليه السلام وإن هذا الولد الذي جاء بدعاء زكريا عليه السلام قد آتاه الله الكتاب والحكم وهو صبي، وما أن تقلد مهام القيادة حتى حمل تعاليم السماء وبلغها على أحسن حال وحافظ على صيانة الشرعة الإلهية، ثم بعد أن تعرضت الأحكام السماوية إلى الهتك والتسويف، تصدى لطاغية عصره ومنعه أن يتمادى في غيّه، وأرشده بالرجوع إلى أحكام الله تعالى والالتزام بأوامره ونواهيه ولما لم يذعن ذلك الطاغية، يقف النبي يحيى عليه السلام مصرحاً بحرمة عمل الطاغية وأعوانه وقد كلفه ذلك أن يقدم نفسه الطاهرة فداءً للحق لتكون صرحاً تبنى عليها الأحكام وتمضي على خطاها رسالة الأنبياء، أما الحسين عليه السلام فجاء بدعاء جده المصطفى صلى الله عليه وآله الذي دعا الله تعالى أن يجعل ذريته في ابن عمه وبضعته عليها السلام وليكون هو وأخوه سبطا هذه الأمة وسيدا شباب أهل الجنة، فسبق الحسن عليه السلام أخاه الحسين عليه السلام بسنة أو أقل ثم شرّف الحسين عليه السلام الدنيا في السنة الرابعة لهجرة النبي صلى الله عليه وآله وفي الثالث من شعبان، وقد صرح النبي صلى الله عليه وآله أن الحسين عليه السلام وارثه في (شجاعتي وجودي)، وأنه أخبر عنه في يوم ولادته الميمونة إنه سبط من الأسباط وأن من صلبه تسعة أوصياء. فعندما بشر الرسول صلى الله عليه وآله بولادة الحسين عليه السلام أسرع إلى

(١) يتضح ذلك من خلال الآية (٥-٦) من سورة مريم قال تعالى (فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا - يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ).

بيت فاطمة عليها السلام وطلب الولد وسماه ابني فقال صلى الله عليه وآله ناوليني أبني ثم سماه حسيناً. ولم يكن العرب في جاهليتها تعرف هذا الاسم[1].

فكان اسمه بوحي من السماء وتولى إجراء المراسيم الشرعية بنفسه للوليد المبارك[2].

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله ساعة استقباله لسبطه ورؤيته بعد أن اغرورقت عيناه بالدموع لأن سبطه هذا يقتل من بعده وقاتله من الفئة الباغية من أمته وقد صرح بذلك قائلاً (تقتله الفئة الباغية من بعدي لا أنالهم الله شفاعتي)[3] وأخبر كيف يقتل ولأي سبب يقتل كما أنه أخبر كيف تسبى ذريته وإن الحسين عليه السلام يقتل وحيداً فريداً بعد أن يمضي ناصروه. ومن خلال ما تقدم يمكن أن نستشف بمقارنة بين يحيى النبي عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام الأمور التالية:

١. إن يحيى عليه السلام جاء بدعاء زكريا عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام كذلك جاء بدعاء رسول الله محمد صلى الله عليه وآله.

٢. في يوم ولادة يحيى عليه السلام ملأت الفرحة قلب زكريا عليه السلام

(١) سماه حسيناً كما سمى أخاه حسناً ولم تكن العرب في جاهليتها تعرف هذين الاسمين/أنظر بحار الأنوار/ الشيخ المجلسي/ص٤٣ ص٢٣٨.

(٢) وأقام النبي صلى الله عليه وآله وأذن في أذنيه وأقام المراسيم الشرعية الأخرى.

(٣) أمالي الصدوق/ص١٢٠ (إن النبي صلى الله عليه وآله أخذ الحسين عليه السلام بعد ولادته دفعه إلى صفية بنت عبد المطلب وهو يبكي ويقول: (لعن الله قوماً هم قاتلوك يا بني) قالها ثلاثاً: فداك أبي وأمي، ومن يقتله؟ قال: (تقتله الفئة الباغية من بني أمية).

مستبشراً بقدومه المبارك وامتلأ قلب رسول الله ﷺ ألماً وحزناً لما يلاقيه ولده الحسين عليه السلام من بعده.

٣. قطع رأس نبي الله يحيى وأهدي إلى بغي من بغايا بني إسرائيل وكذا الحسين عليه السلام قطع رأسه وأهدي إلى بغي من بغايا بني أمية.

٤. تكلم رأس النبي يحيى عليه السلام بعد قطعه[1] وكذا رأس الإمام الحسين عليه السلام.

٥. لم يكن اسم يحيى مألوفاً ومعروفاً عند بني إسرائيل حتى ولد عليه السلام وسماه زكريا عليه السلام بوحي من السماء وكذا الإمام الحسين عليه السلام لم يكن اسمه معروفاً في الجاهلية عند العرب فجاء اسمه بوحي من السماء.

٦. يحيى النبي عليه السلام يقتل فيسرع تلاميذه إلى دفنه أما الحسين عليه السلام فقد قتل وترك ثلاثة أيام على رمضاء كربلاء بلا دفن.

الحسين ولقمان الحكيم عليهما السلام:

لقد امتلأ لقمان بالحكمة حتى لازمت اسمه فصار لا يعرف إلا بـ (لقمان الحكيم) وقد خلا قلبه من كل شيء سوى حبه

(١) راجع مستدرك البحار/ الشيخ علي النمازي/ ج٩- ص١٦٨

لله سبحانه، تفجرت ينابيع الحكمة عن قلبه إلى فمه ولسانه. وإن ثمرة الإخلاص لله تعالى في إيمانه أربعين يوماً هو أن يؤتى الحكمة واثبتت في قلبه وأجريت على لسانه، والحكمة هي المعرفة العلمية النافعة وهي غضة طريّة في كل زمان ومكان لا تندرس بمرور الأزمنة والحقب، وربما يستعمله الذكر الحكيم عند دعوة المجتمع إلى ما فيه الخير والصلاح كقوله تعالى (ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ)[1] وهي التي بها تلين النفس ويرق القلب لما فيه من صلاح السامع من العبر والدروس وإن كل معرفة صائبة حكمة من غير فرق بين أن يكون الأسلوب علمياً مبنياً على أنصع البراهين أو كان خطابياً ملينا للقلوب والنفوس مبنياً على التجارب والعبر أو غير ذلك، وقد اشتهر لقمان بموعظته لابنه والتي من خلالها يملي عليه دروس في التربية والأخلاق التي تصدر من الأب الحكيم ومنها ما قاله القرآن الكريم: (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)[2].

إن لقمان الحكيم أوصى ابنه في وصيته أن يقيم الصلاة وتحسينها ولا يتغافل عنها لأي أمر من الأمور، والحسين عليه السلام كان مصداقاً لإقامة الصلاة وتحسينها وعدم التهاون بها ولو في أقسى الظروف وأتعسها، فها هو يقيم الصلاة وقد اشتد تكالب العدو عليه فلا شيء يشغله عند ذكر الله تعالى، ففي

(١) النحل - الآية - ١٢٥.

(٢) لقمان - الآية - ١٧.

يـوم الطف عندما أشـعلت الحرب نارها وقـف يصلي بين يدي جبـار السـموات والأرض ومعـه أهل بيته وصحبـه غير مكترث لمـا يحصـل، وإن لقمان يوصي ابنـه بأن يأمر بالمعـروف وينهي عن المنكر، وكان الحسـين عليه السلام مصداقاً للأمـر بالمعروف والنهي عـن المنكر عندما نظر إلى أمور الحكام وشـياطين الإنس تعبث بشـريعة جده لتأمر بالمنكر وتنهي عن المعروف نهض بمن معه ليعلن قائـلاً: (إنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، لآمر بالمعروف وأنهى عن المنكر)، ولو كلفه ذلك إراقة دمه ودماء أهل بيتـه وصحبه، وأما وصية لقمان لابنه في الصبر فلا أعتقد أن يكـون أحـد في صبر الحسـين عليه السلام إلاّ آباؤه وأبنـاؤه المعصومين، لقد تفرد الإمام الحسين عليه السلام بالصبر على نوائب الدنيا ومحن الأيـام، فقـد تعلم منه الصبر كيف يصـبر، وقد اعتاد عليه مذ كان صغـيراً عندمـا فارق جـده وأمه في أيام نحسـات متقاربات كما أنه تجرع الآلام والأحزان والرزايا وهو ينظر إلى أبيه سـيد الأوصيـاء عليه السلام، ومـا عانـاه من المحـن و الخطوب وتجـرع مرارة الصبر في عهد أخيه وهو ينظر إلى الغدر وإلى خذلان جيشـه لـه حتـى أرغم علـى الصلح،ثم يغتالـه معاوية بالسـم، وتبدل شـريعة جـده المصطفـى صلى الله عليه وآله وكذلـك صـبره الـذي لا يوصف على بغايا الأمويين وهم يسـبون أبـاه المرتضى عليه السلام أمام سمعه وناظره، وهذا كله يهون لما شـاهده في أرض كربلاء يوم العاشـر من المحرم فكان يقدم الابن والأخ وابن العم والأصحاب لتنهش لحومهم سيوف الغدر أمام ناظره فيتجرع آلام تلك المواقف إلاّ أنه يقدم لهم النصح بالصبر على الرزايا والمصائب فخاطبهم:

(صبراً يا أهل بيتي، صبراً يا بني عمومتي، لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم) كما أنه أوصى عقيلة بني هشام بالصبر والركون إليه بعد أن حطم الحزن قلبها.

فهل هناك صبر كصبر سيد الشهداء فهو من أندر ما عرفته الإنسانية وكما قال الأربلي (رحمه الله): (وصبره في الحرب أعجز الأوائل والأواخر)[1].

فأي صبر ينصح لقمان ابنه، أمثل صبر الحسين عليه السلام؟ وإن كان كذلك فإن لقمان لم يذق مرارة فقد الولد وتمزيقه بين رماح وسيوف أعدائه، ولم يذق مرارة الصبر على فقدان الإخوة والأحبة، وإذا كان لقمان الحكيم يريد من ابنه أن يلتزم بإقامة الصلاة والأمر بالمعروف والصبر على الشدائد فلأنها من الفعل الحسن، بل من الأمور التي يجب الثبات عليها، ولو نظرنا إلى الحسين عليه السلام لوجدناه قد جسد كل هذه المعاني، فهو الصلاة بعينها وهو عنوان للأمر بالمعروف وهو الصبر .. بل كل الصبر.

وقد ثبت الحسين عليه السلام على أرض الواقع وعلى صعيد الإنسانية إلى أن مضى فيما يريده الله تعالى في نشر أحكامه وتعاليمه التي أرسل نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وآله من أجلها، فقال لجبهة الباطل: لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، وقال عن يزيد: مثلي لا يبايع مثله، حتى أصبحت (لاءات الحسين) خالدة على مدى

(١) كشف الغمة/الاربلي/ج٢ ص٢٠.

التأريخ تزلزل عروش الظالمين، يرددها الثوار في طلب الحريات وريح الإنسانية الشماء.

ويمكن أن نستنتج مما تقدم ما يأتي:

١. إن لقمان الحكيم قد أجرى الله تعالى الحكمة على لسانه لإخلاصه التام في عبادته، وإذا كان للمؤمن إذا أخلص في إيمانه أربعين يوماً أجريت الحكمة على لسانه فكيف بمن نذر كل عمره لطاعة ومرضاة الله تعالى خائفاً وجلاً لا يرجو إلاّ رحمته وقد أجريت بل تفجرت الحكمة من جوانب الحسين عليه السلام حتى نطقت كل جوارحه بها.

٢. إن لقمان كان يقدم النصح لابنه من باب تربيته التربية الصحيحة المحمودة عند الله تعالى حتى يصل إلى مراحل القرب الإلهي، أما الحسين عليه السلام فقد قدم لابنه طريق الشهادة وجعله قرباناً لطلب مرضاة الله وكان أول العلويين المستشهدين يوم الطف بعد ذلك قدم دمه الطاهر عندما رأى أن شرعة السماء يحاول الطغاة إبدالها بشرعة الشيطان.

٣. كان لقمان الحكيم يقدم الحكمة لمن يحتاجها، فالفرد بحاجة إلى إرشاد ونصح، والحسين عليه السلام مثّل نفسه بالحكمة فقدمها ممزوجة بدمه الطاهر من أجل نشر ما أراد الله فضلاً عن أصحابه وهذا أعلى مراحل الكرم والجود.

٤. إذا كان لقمان ينصح ابنه بالثبات والعزم والعقد على الفعل الحسن كي توطن النفس عليه، نرى أن الحسين عليه السلام قد عمل على نصح أمة كاملة كي تكون كلها موطنة نفسها على الفعل الحسن والثبات على المبدأ والعقيدة.

الحسين والخليل عليهما السلام:

لقد ابتلى الله تعالى خليله إبراهيم صلى الله عليه وآله في اختبار يبين[1] فيه قيمة واستعداد نبي الله عليه السلام ليكون في مقام الكمال الإنساني المعنوي وقابليته في تحمل البلاء، وجاء الامتحان الإلهي لنبي الله إبراهيم عليه السلام بأن رآى في منامه أن يذبح ولده إسماعيل عليه السلام[2] وكما هو معروف أن رؤيا النبي حجة يجب العمل بها، وهنا موضع الابتلاء والاختبار حيث يختبر الله تعالى عباده بالأموال والأولاد ليتبين الساخط من الراضي بقسمه وإن كان سبحانه أعلم بهم من أنفسهم ولكن لتظهر الأفعال أمام الملأ ليكون قدوة وأسوة، حيث أمر الله سبحانه نبيه وخليله أن يذبح بيده فلذة كبده الوحيد إسماعيل فأخبر الخليل ابنه بما رأى،

---

(١) إن ابتلاء الله سبحانه لعباده ليس لأجل كشف الستر عن وجه الحقيقة لأنه عالم بالسر والخفيات ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء فلا يكون اختباره وابتلاؤه كاختبار الناس بعضها لبعض، الغاية منه التعرف على ما لدى الممتحن من القوة والاستعداد واستعلام مقدار إحاطته بموضوع الامتحان.. فتأمل..

(٢) (وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ) الأنفال - الآية - ٢٨ .

فأجابه بدون تردد أن افعل ما تؤمر، مستجيباً لأمر الله تعالى كما قال تعالى: (قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)[1].

هنا ظهرت أفعال العبدين الصالحين ومدى فناءهم في حب الخالق والبارئ تعالى وتجردهم عن حب كل شيء سواه وهذا يعني النجاح في الامتحان والتكامل والرقي في مدارج السعادة والهناء.

أما الحسين بن علي عليه السلام كان له ولد وهو أكبر أولاده (علي الأكبر) وكان أشبه الناس خلقا برسول الله صلى الله عليه وآله والهواشم إذا اشتاقت لرسول الله صلى الله عليه وآله نظرت إلى ولد الحسين علي الأكبر، يتكفل هذا الولد برعاية أمه ليلى أثناء سيرها في الركب الحسيني إلى كربلاء وعند اقتراب الركب من أرض العراق يقترب علي الأكبر من أبيه الحسين عليه السلام فيسمعه يقول: (إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ والحمد لله رب العالمين) فعل ذلك مرتين أو ثلاثاً فأقبل علي الأكبر يسأل أباه: قائلاً: مم حمدت الله واسترجعت؟ فقال: يا بني أني خفقت خفقة فعنَّ لي فارس على فرس وهو يقول: القوم يسيرون والمنايا تسير إليهم فعلمت أنها أنفسنا نعيت إلينا فقال له علي الأكبر: يا أبة، لا أراك الله سوءً ألسنا على حق؟ قال: بلى، والذي إليه المرجع والمعاد، قال: فإذن لا نبالي أن نموت محقين، فقال له الحسين عليه السلام:

(١) الصافات - الآية - ١٠٢.

جزاك الله من ولد خيرا ما جزى ولداً عن والده.

وماذا بعد أن نزل الحسين عليه السلام كربلاء ومعه أهل بيته وصحبه عليهم السلام ودارت المعركة بين الحق والباطل، بين الخير كله والشر كله، وجاء دور علي الأكبر في القتال مبارزاً، فخرج إلى ميدان القتال، وعَيْن الحسين عليه السلام تشيّعه وهو على علم أن ولده هذا مقتول لا محالة، فماذا فعل الحسين عليه السلام بعد مقتله، تجرع مرارة الصبر واسترجع لذلك حامداً الله أولاً وآخراً، ولا نريد أن نسهب في الأحداث وبالخصوص أحداث كربلاء بل دعونا نستنتج مما تقدم أمور وهي كما يأتي:

١. إن إبراهيم عليه السلام كان قد تعرض لاختبار بذبح ولده إسماعيل، وعند نجاحه في الاختبار عفي الولد من الذبح واستبدل بذبح من السماء، وحاز على أعلى مراحل الكمال والرقي، أما الحسين عليه السلام فقد قتل فلذة كبده شبيه رسول الله صلى الله عليه وآله إمام ناظره يراه وقد قطعته السيوف والرماح.

٢. إن جائزة النجاح لخليل الله إبراهيم عليه السلام أن يبشر بغلام من زوجته سارة[1] أما الحسين عليه السلام لم يكن يرجو أجراً إلا القرب الإلهي وإعلاء كلمة لا اله إلا الله محمد رسول الله.

٣. لقد فاق صبر الحسين عليه السلام الصبر نفسه، وذلك لفقده

(١) (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ)/ الصافات - الآية - ١١٢ .

أكثر من ولد في واقعة كربلاء فضلاً عن الإخوة وأبناء العمومة والصحبة الخيرة ولم يتعرض إبراهيم عليه السلام إلى حادث يفقد بها أحد ولديه[1].

٤. كان اختبار إبراهيم عليه السلام هدفه ظهور أفعال الرضا والسخط و الطاعة وعدمها وتقييم شخص النبي عليه السلام، إلا أن الحسين عليه السلام كان عليه أن يضع نفسه وأهل بيته وصحبه على مذبح الشهادة وذلك لإعادة الشرعة المحمدية إلى صورتها وإيقاظ الأمة من غفلتها.

٥. لم يجرِ دم الذبيح الأول على أرض مكة وجرى دم الذبيح الثاني على صعيد كربلاء وليكون هذا الدم الزيت الفعال لإشعال سراج الهداية الربانية والثورة ضد الباطل، التي حاول طغاة العصور إخمادها.

جاء عن الإمام الرضا عليه السلام في تفسير قول الله عز وجل: وفديناه بذبح عظيم- لما أمر الله تبارك وتعالى إبراهيم عليه السلام أن يذبح بدلاً عن ابنه إسماعيل عليه السلام الكبش الذي أنزله عليه تمنى إبراهيم عليه السلام أن يذبح ابنه اسماعيل عليه السلام بيده وأنه لم يؤمر بذبح الكبش مكانه ليوجع قلب الوالد الذي يذبح أعز ولده بيده فيستحق ذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب فأوحى الله عز وجل إليه: يا إبراهيم من أحب خلقي إليك؟ فقال: يا رب ما خلقت خلقاً هو أحب إليّ من حبيبك محمد

(١) كان لإبراهيم ولدين(إسماعيل وإسحاق) والله أعلم.

ﷺ فأوحى الله عز وجل إليه: يا إبراهيم أفهو أحب إليك أو نفسك؟ قال: بل هو أحب إليّ من نفسي قال: فولده أحب إليك أو ولدك؟ قال: بل ولده، قال: فذبح ولده ظلماً على يد أعدائه أوجع لقلبك أو ذبح ولدك بيدك في طاعتي؟ قال: يا رب بل ذبحه على أيدي أعدائه أوجع لقلبي: قال: يا إبراهيم فإن طائفة تزعم أنها من أمة محمد ﷺ ستقتل الحسين عليه السلام ابنه من بعده ظلماً وعدواناً كما يذبح الكبش فيستوجبون بذلك سخطي، فجزع إبراهيم عليه السلام لذلك وتوجع قلبه وأقبل يبكي فأوحى الله عز وجل إليه: يا إبراهيم قد فديت جزعك على ابنك إسماعيل لو ذبحته بيدك بجزعك على الحسين عليه السلام وقتله أوجبت لك ارفع درجات أهل الثواب على المصائب فذلك قول الله عز وجل (وفديناه بذبح عظيم)[1].

الحسين وشعيب عليهما السلام:

شعيب أحد الأنبياء العرب الذين بعثهم الله سبحانه لهداية البشر وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: (لم يبعث الله عز وجل من العرب إلاّ خمسة، هوداً، وصالحاً، وإسماعيل، وشعيباً، ومحمداً خاتم النبيين، وكان شعيب بكاءً)[2].

كانت أصول دعوة شعيب لا تختلف عما يرسل به الأنبياء

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام/ الشيخ الصدوق/ ج٢ ص١٨٩.

(٢) بحار الأنوار/ المجلسي/ ج١٢ ص٣٨٥.

(صلوات الله عليهم أجمعين) ومن أصول دعوته (التبشير والتحذير) والرجوع إلى الله تعالى في سائر الأمور ومن حديث نبي الله شعيب مع قومه في التبشير قال: (وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ)[1] وأخرى يحذرهم من عذاب الله سبحانه في الآخرة بقوله تعالى: (إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ)[2] والحسين عليه السلام يوم كربلاء يقدم نصحه للناس فمرة يرشدهم إلى التوبة والاستغفار والرجوع إلى الله تعالى في كل الأمور وإن الله غفور رحيم، مخاطباً القوم في أول نهار العاشر من محرم قائلاً: (اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة إلى نهاية الدعاء)[3] ثم ذكرهم غضب الله الجبار رافعاً يده قائلاً: (اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تغادر منهم أحداً ولا تغفر لهم أبداً...)[4] ثم رجع يذكرهم بأنهم من العرب كما يزعمون قائلاً: (يا شيعة آل ابي سفيان إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحرارا في دنياكم هذه وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عربا كما تزعمون)[5].. وهذا أسلوب وغاية المصلح والمرشد يتدرج في نصحه حتى يصل غايته.

ونعود إلى شعيب النبي عليه السلام عندما صارح قومه بسلامة

(١) هود - الآية - ٩٠.

(٢) هود - الآية - ٨٤ .

(٣) ليلة عاشوراء في الحديث والأدب/الشيخ عبد الله الحسين/ص٧١.

(٤) كربلاء الثورة والمأساة/احمد حسين يعقوب/ ص٣٠٣.

(٥) نفس المصدر.

مسيرته ومواقفه ووضوح أهدافه التي لا يشوبها أي انحراف أو مصلحة شخصية ولم تكن له غاية سوى الإصلاح وبقدر ما يستطيع قال تعالى: (إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)[1].

أراد شعيب عليه السلام في دعوته قومه أن يزنوا بالقسطاس المستقيم وهذه تتعلق بوجوب تحري العدل عند تقويم الموزونات، إلاّ إنه جعل منها ضابطة وتعميمها في مجال أوسع بأن تزن وتقوّم كل عمل وكل جهد يبذله الإنسان وفي كافة مجالات الحياة وفق مقاييس العدل والإنصاف لأن فيه ضمانة أكيدة لتجنب الظلم ووضع الأشياء في غير موضعها.

وهذا الحسين عليه السلام قال مقولته المشهورة: (لم أخرج أشراً ولا بطراً إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي).

فأراد إصلاح أمة جده المصطفى صلى الله عليه وآله لما لاحظه من اعوجاج المسار الحقيقي الذي رسمه رسول الله صلى الله عليه وآله وملاحظته فساد الأخلاق وفساد النوايا وانحطاط العزائم وموت القلوب، فحاول جاهداً حتى أوجب على نفسه أن يقدم نفسه وأهل بيته عليهم السلام ليصعق المجتمع، فنجح في إيقاظه ونجح في استمرار أحكام الرسالة قدماً.

ومما تقدم يمكن ملاحظة ما يأتي:

١. إن أصول دعوات الأنبياء لا تختلف عن أصول دعوات

(١) هود - الآية - ٨٨.

الأوصياء.

٢. تشابه الغايات وتتطابق الأهداف لدى الأنبياء والأوصياء.

٣. تصدى نبي الله شعيب عليه السلام لإصلاح قومه عندما أفشت الخطيئة فيهم وتصدى الحسين عليه السلام لإصلاح الأمة بعد أن انحرفت الأمة وتفشت الخطيئة فيها.

أخيراً..

إن ولادة المعصوم بصورة عامة هي من ألطاف الله تعالى ورحمته بعباده فإنهم يحملون أصول الإصلاح العام للنفس الإنسانية وإن من رحمة الله تعالى لعباده أن اصطفى الأوصياء ليكونوا أمناء على رسالة الأنبياء (صلوات الله عليهم أجمعين) ولما كان محمد صلى الله عليه وآله سيد الأنبياء والمرسلين وخاتم النبيين فإن الأوصياء هم أمناء على جميع ما جاء به الأنبياء والمرسلين، وإن الطغاة على مر العصور كانوا أعداء الإنسانية وأعداء الحياة بصورة عامة، يحاولون دائماً طمس أنوار الهداية المحمدية على صاحبها أشرف الصلاة والسلام، فكان لا بد من الأوصياء أن يتخذوا الأدوار المناسبة لمواجهة هؤلاء الحكام وإمضاء المثل العليا في المجتمع، ومن رحمة الله تعالى جاءت ولادة الحسين عليه السلام، بل من أعظم البركات على الأمة ففي

حياته قدم كل ما يستطيع تقديمه لأجل سعادة الأمة ورقيها حتى آلت الأمور أن يقدم كل غالٍ ونفيس لأجل إعلاء كلمة الله وينير دروب الإنسانية وإطلاق الحرية للأمة، فأصبح نبراساً لجميع الثوار والباحثين عن الحرية ليس للمسلمين فقط بل للإنسانية جمعاء، وبعد استشهاده يستمر العطاء من فضل الله برعاية المؤمنين والاهتمام بجميع ما يحتاجونه، وتفريج كروبهم وإدخال السعادة على قلوبهم إذ أن الدعاء مستجاب تحت قبته، أما في الآخرة فلا يعلم أحد سعة وعظمة ما يقدمه الحسين عليه السلام عند اللقاء الأخروي لما له من شأن كبير ومكانة عظيمة عند الله عز وجل..

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا شَفَاعَةَ الحُسَين عليه السلام يَومَ الوُرُود وَثَبِّتْ لَنَا قَدَمَ صِدْقٍ عِندَكَ مَعَ الحُسَين وَأَصْحَابَ الحُسَين الَّذِينَ بَذَلُوا مُهَجَهُم دُونَ الحُسَين عليه السلام

الفهرس

المقدمة ٣

القيادة الإلهية ٤

الحسين ويحيى عليهما السلام ٧

الحسين ولقمان الحكيم عليهما السلام ١٠

الحسين والخليل عليهما السلام ١٥

الحسين وشعيب عليهما السلام ١٩

أخيراً ٢٢

قال رسول الله

حُسَينٌ مِنّي وأنا مِن حُسَين أحَبَّ اللهُ مَن أحَبّ حُسَينا
حُسَين سِبطٌ مِنَ الأسباط

المستدرك على الصحيحين
للحاكم النيسابوري ج٣/ ص١٧٧

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة

الشؤون الفكرية والثقافية

زورونا www.aljawadain.org

راسلونا fikriya@aljawadain.org